مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, **EISSN:** 2600-6189
مجلد: *15* عدد *01* ، جوان *2024*
العنوان: **السِّياحة الدينية ودورها في تعارف الحضارات** *ص.ص 11-39*

السِّياحة الدينية ودورها في تعارف الحضارات

الدكتورة: نرجس بخوش

جامعة الزيتونة، تونس

nerdjes.bekhouche7@gmail.com

تاريخ الإرسال: 01/ 02/ 2024 ؛ تاريخ القبول: 16/ 03/ 2024

Abstract:

Tourism plays an important role in getting to know others, and even in bringing people together from different races, religions, and cultures, because it enriches the life experience of the traveler as an acquired being. He works to enrich his experience from here and there, and seeks to feed his cultural river with the tributaries of other cultures. If we are serious about seeking cultural acquaintance leading to fruitful dialogue, we must take note of the impact of tourism in general, and religious tourism in particular, through which we can establish cultural exchange between different peoples.

Keywords: tourism, religious, acquaintance, dialogue, civilizations.

الملخص:

تقوم السِّياحة بدورٍ هامٍ في التعرف على الآخر، بل وفي التقارب بين الشعوب من شتَّى أعراقهم ودياناتهم وثقافاتهم، لما فيه من إثراءٍ للتجربة الحياتية لدى الإنسان المسافر بوصفة كائنًا مكتسبًا، فهو يعمل على إثراء تجرته من هنا وهناك، ويسعى لتغذية نهره الثقافي بروافد الغير الثقافية. وإذا كُنَّا جادِّين في مسعى التَّعارف الحضاري الموصل إلى الحوار المثمر، فلا بدُّ من أن نحيط علمًا بأثر السِّياحة في ذلك

عموماً، والسِّياحة الدينية خصوصاً، والتي من خلالها نستطيع أن نُقِيم التبادل الثقافيّ بين مختلف الشعوب.

الكلمات المفتاحية: السياحة، الدينية، التعارف، الحوار، الحضارات.

مقدمة:

لا أعلم شيئًا أدعى إلى التقريب بين الشعوب، وأَسْرِ النفوس، وتهذيب القلوب، وتصفية الأرواح، مثل السِّياحة، التي تقوم بدورٍ هامٍ في التعرف على الآخر؛ بل وفي التقارب بين الشعوب من شتى أعراقهم وديانـاتهم وثقافاتهم، لما فيه من إثراءٍ للتجربة الحياتية لدى الإنسان المسافر بوصفة كائنا مكتسبًا، فهو يكتسب من هنا وهناك ما يثري تجربته؛ ويغذي نهره الثقافي بروافد الغير الثقافية. وإذا كُنَّا جادِّين في مسعى التعارف الحضاري الموصل إلى الحوار المثمر، فلا بدُّ من أن نحيط علمًا بأثر السِّياحة في ذلك عموماً، والسِّياحة الدينية خصوصاً، والتي من خلالها نستطيع أن نُقِيم التبادل الثقافيّ بين مختلف الشعوب، على نطاقٍ واسعٍ لا يقف في سبيل ذلك عائقٌ أو حائلٌ بأيَّة حالٍ، وحينئذٍ يتحقق التقارب الذهني بين العقول ويقل التصادم، من هذا المنطلق فإنَّ الدعوةٌ إلى الحوار والتواصل بين الأنا والآخر، يبدأ بالتعارف، والتعارف هو شكلٌ من أشكال الحوار، أو هو الباب الحقيقي للحوار، وسيلته السِّياحة والتي تُعدُّ من أهم وسائل تحقيقه. فبدون معرفتي بالآخر لن أستطيع أن أبدأ معه حواراً مثمراً، وبانعدام الوسيلة الموصلة إلى الحوار ينعدم الحوار.

من خلال ما تقدَّم، فإنَّ هذه الورقة البحثية تسعى للكشف عن الدور الذي تلعبه السِّياحة في تعارف الحضارات وحوارها، والفلسفة التي يقوم عليها الحوار التعارفي من منظورٍ دينيّ، وموقف هذا الأخير من تجشُّم عناء السِّياحة بغية التعارف على الآخر المغاير ثقافةً ومعتقداً، وصولاً إلى أهم المقاصد الدينية والدنيوية في التعارف مع الحضارات. من خلال محاولة الإجابة عن التساؤل القائم على: ما مفهوم السياحة ابتداءً؟، وهل للسياحة دورٌ في تعارف الحضارات وحوارها؟، وما هي

أهم مقاصد السِّياحة الدينية والدنيوية في محاولة التعارف على الحضارات المخالفة لنا في ثقافتها وعقيدتها؟، ولأجل الإجابة عن هذا التساؤل فقد تم تسطير خطة تشتمل على مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: مفهوم السِّياحة

المبحث الثاني: السِّياحة جسر لتعارف الحضارات وحوارها

المبحث الثالث: مقاصد السِّياحة الدينية والدنيوية في تعارفها على الحضارات

المبحث الأوَّل: مفهوم السِّياحة

السِّياحة كلمةٌ تلفَّظ بها اللِّسان العربي نثراً وشعراً، وأضحت منذ القدم إشارةً على عمل يُزاول بصفةٍ محدَّدةٍ وحالٍ معيَّن، بناء على ما تضمَّنته الكلمة من أبعادٍ لغويَّة. وإذا أردنا استقراء أصالة هذه الكلمة، وجدناها وردت في آياتٍ من القرآن الكريم، وأحاديث من السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة وكذا كتب الفقه، ولذا كان من المناسب استقصاء جميع الجوانب اللُّغوية لمدلول كلمة «سياحة»، من خلال بيان أصلها ومفهومها عند العرب لغة، ثم مدلولها في الإصلاح من خلال المعنى الديني من الكتاب والسنة ومؤلفات الفقه

أولاً: في اللغة

قد يطلق لفظ (السِّياحة) في كلام العرب ويراد به معانٍ عدَّة، منها:

1/ الماء الجاري على وجه الأرض، قال ابن فارس: "السين والياء والحاء" أصل في الكلمة (ابن فارس أحمد، 1419: 306)، و"السَّيَح": هو الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض، وسَاح، يسِيح، سَيْحاً، وسيَحَاناً، إذا جرى على وجه الأرض (الثعالبي عبد الملك، 1419: 306). يقول ذو الرمَّة: يا حَبَّذَا سَيَحٌ إذا الصَّيف التَهَب (ذو الرمة، 1416: 38).

2/ الذهاب في الأرض للتَّنزُّه أو التَّعبُّد ونحو هذا: جاء في معجم العين: "السِّياحة: الذهاب في الأرض للعبادة(الفراهيدي الخليل، 1424: 273/3). وأغلب المعاجم زاد: "والترهُّب"(ابن الأزهري محمد، 2001: 162/2) ، ولاحظ الزَّبيدي أنَّ هذا التَّخصيص يتعلَّق بلفظ "السِّياحة" نفسه، قال: "وأمَّا السُّيوح والسَّيَحان والسَّيَح فقالوا: إنَّه مطلق الذهاب في الأرض سواء كان للعبادة أو غيرها"(الزبيدي محمد، 1205: 1640/1).

وساح الرجل في الأرض، يسيح سياحةً، إذا ذهب وضرب في الأرض، وتنقَّل من مكانٍ إلى مكانٍ آخر، ومن هذا المعنى سُمي عيسى بن مريم عليهما السَّلام بالمسيح، فقد ذُكر في بعض الأقوال إنَّه كان يذهب في الأرض، فأينما أدركه الليل صفَّ قدميه وصلىَّ حتى الصباح(ابن منظور محمد، 2009: 493/2).

قال أبو العلاء المعري: (المعري أبو العلاء، 1416: 270/1)

فَمَا حبَسَ النَّفس المسيحُ تعبُّداً ولكن مشَى في الأرض مشيَة سَائح

والسَّائح: الصائم الملازم للمساجد، والمتنقِّل في البلاد للتنزُّه أو للاستطلاع والبحث والكشف ونحو ذلك، وجمعه سُيَّاح. والسَّيَّاح: الكثير السِّياحة. والمسيَاح: الذي يَسيحُ في الأرض بالنَّميمة والشّر والإفساد بين الناس(مصطفى إبراهيم، 1972: 467/1).

وعلى هذا، فالسِّياحة بكسر السِّين كلمةٌ اصطلح العرب على أنَّها تعني: الذهاب في الأرض(ابن منظور محمد، 2009: 942/2).

3/ الاتِّساع والاندفاع: وسَيَحُ كل شيءٍ يكون بحسبه، فانساحت الصخرة: أي اندفعت واتَّسعت، ومنه ساحة الدار، وانسَاحَ باله: أي

اتَّسع، وانسَاح الثَّوب، أي تشقَّق واتَّسع، وفي حديث الغار "فانساخت الصخرة"(البخاري أبو عبد الله، 1433: 1570/3) أي اندفعت واتَّسعت، وانساح بطن الشيء: أي كبر ودنا من السِّمن، وسَاح الظل: أي فَاء، أي رجع من المغرب إلى المشرق، وأَسَاح فلانٌ نهراً إذا أجراه(ابن منظور محمد، 2009: 492/2). ومنه قول البراء رضي الله عنه: "ثم سَاحَت" يعني جَرَت نهرا(ناقور هاشم، 1324: 15)، للبئر التي غَمَس النَّبي صلى الله عليه وسلم يده بمائها.

ومن خلال التأمُّل في معاني كلمة "سياحة" يتَّضح أنَّها كلمةٌ أصيلةٌ في اللُّغة العربيَّة تحمل معاني كثيرةً توظَّف حسب موقعها في النَّص، فتارةً تعني التَّنقُّل في الأرض للتَّنزُّه والاستكشاف وغيره، وتارةً تكون بمعنى التَّنقُّل للعبادة، وتكون بمعنى الاتِّساع وأيضاً بمعنى الجريان، لكنَّها في الاصطلاح المعاصر تُقصر على بعض تلك المعاني فتدل على التَّنقُّل في البلاد للتَّنزُّه والاستطلاع والبحث والكشف، فعُدَّت بذلك، من أهم ظواهر العصر التي تنبثق من الحاجة المتزايدة للحصول على الراحة والاستجمام.

ثانياً: مفهوم السِّياحة في الاصطلاح

جاء الإسلام ليرتقي بمفهوم السِّياحة، ويربطه بالمقاصد العظيمة والغايات الشَّريفة، بعد أن كان عند بعض الأمم السَّابقة كاليهوديَّة والنَّصرانيَّة وغيرهم، مرتبطٌ بتعذيب النَّفس وإجبارها على السَّير في الأرض، وإتعاب البدن عقاباً له أو تزهُّداً في دنياه، فأبطل الإسلام هذا المفهوم المشوَّه القاصر للسِّياحة.

وقد وردت السِّياحة في القرآن والسُّنَّة بمعانٍ متنوِّعةٍ متعدِّدةٍ، وتفصيل ذلك فيما يأتي:

1/ السِّياحة في القرآن الكريم والسنة النَّبوية الشريفة

وردت مشتقَّات مادَّة (السِّياحة) في ثلاثة مواضع متفرِّقةً في كتاب الله؛ موضع بصيغة الأمر: ﴿فَسِيحُوا﴾، وموضعين بصيغة اسم الفاعل:

(السَّائحون)، (السَّائحات).

أوَّلاً: صيغة الأمر: قوله تعالى: ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾(التوبة: 1،2).

والمراد بالسِّياحة في الآية:

قال الماوردي (ت450هـ) وفي قوله: ﴿ فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ ﴾ وجهان، أحدهما: انصرفوا إلى معايشكم، والثاني: سافروا فيها حيث أردتم. وفي السِّياحة وجهان، أحدهما: أنَّها السَّير على مهل، والثاني: أنَّها البعد على وجل(الماوردي علي، 1992: 337/2).

وقال الزمخشري (ت538هـ): روي أنَّهم عاهدوا المشركين من أهل مكَّة وغيرهم من العرب، فنكثوا إلاَّ أناساً منهم، وهم بنو ضمرة وبنو كنانة، فنبذ العهد إلى النَّاكثين، وأُمِروا أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهرٍ آمنين أين شاءوا لا يُتَعرَّض لهم، وهي الأشهر الحرم في قوله: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُم﴾، و ذلك لصيانة الأشهر من القتل والقتال فيها(الزمخشري محمود،1392: 243/2).

فالسِّياحة في هذه الآية الكريمة تعني المعنى اللغوي ولا تتعدَّاه، وهو الذهاب في الأرض، والسَّير فيها، ولا تتضمَّن معنىً شرعيًّا زائداً.

ثانيا: صيغة اسم الفاعل، قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(التوبة: 112). اشتملت هذه الآية على أوصافٍ امتدح الله تعالى بها عباده المؤمنين، ومن تلك الصفات ﴿السَّائِحُون﴾، وقوله: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ (التحريم: 5).

وسبب نزول هذه الآية أنَّ نساء النَّبي صلى الله عليه وسلم اجتمعن في الغيرة عليه، فقال عمر رضي الله عنه لهن: «عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُن أَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُن»، فنزلت هذه الآية وفيها وصف للنِّساء اللاتي يتزوجهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن تلك الصفات: أنَّهن «سائحات» .

المرد بالسِّياحة في هاتين الآيتين:

للمفسِّرين عدَّة أقوال في بيان المراد بالسِّياحة في هاتين الآيتين، ولكنهم لم يرجِّحوها إلاَّ القليل منهم أمثال: السَّعدي، وسيِّد قطب، والطنطاوي.

وسيأتي بيان هذه الأقوال على سبيل التَّفصيل:

1/ الصائمون

وإلى هذا ذهب جمهور المفسِّرين، واستند قولهم إلى ما يأتي:

- ما أخرجه ابن جرير (ت310ه) في تفسيره بإسناده عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً، وموقوفاً، ونص المرفوع: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «السَّائحون هم الصائمون» (الطبري ابن جرير، 1422: 503/14)، ونص الموقوف: قال: (السَّائحون)، الصائمون (الطبري ابن جرير، 1422: 503/14).

- وما أخرجه ابن جرير بسنده كذلك مرسلاً عن عُبيد بن عُمير (ت 68هـ) قال: سئل النَّبي صلى الله عليه وسلم عن السَّائحين فقال: "هم الصائمون"(البيهقي،1423: 503/4) ولا يثبت لأنَّه معلَّلٌ بالإرسال، وأخرجه عن ابن عبَّاس، وابن مسعود موقوفا (الهيثمي، 1423 : 34/7).

وأورد في ذلك أقوال الصحابة والسَّلف كابن عبَّاس، وابن

مسعود، وعائشة رضي الله عنها، وقتادة، ومجاهد، وعطاء، والضحَّاك بن مزاحم وغيرهم.

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: "سياحة هذه الأمَّة الصيام"(الطبري ابن جرير، 1422: 39/11).

وهذه الآثار الموقوفة على الصحابة رضوان الله عنهم، فسَّرت السِّياحة بأنَّها الصيام، وقد اجتهد بعض العلماء في إسناد ما ذهبوا إليه إلى الاعتبار اللغوي وهو السَّير في الأرض.

وقد ذكر بعض أهل اللغة بأنَّ تفسير السِّياحة بالصوم في هذه الآيات هو قول أهل اللغة والتفسير جميعا. وهذا محل نظر، فإنَّ منهم من خالف في ذلك كما سيأتي، ولكنَّه قول جمهور المفسِّرين.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿سَائِحَات﴾، فيفسِّرها معظم المفسِّرين بأنَّهن: صائمات، وفي سبب تسميَّة الصائم بالسَّائح، قالوا: السَّائح في السَّفر يسيح في النَّهار بلا زاد، يمضي نهاره لا يطعم شيئاً، فلا يزال ممسكاً إلى أن يجد ما يطعمه، فشُبِّه به الصائم في إمساكه إلى أن يجيء وقت إفطاره(الزمخشري، 1998: 567/4). وقيل: (سَائِحَات): صائماتٍ وذاهباتٍ في طاعة الله كلَّ مذهب (القطان إبراهيم، 350/3).

وذكر حقي في تفسيره بأنّ المراد بالصوم هنا ليس هو الصوم بمعناه الشَّرعي وهو الإمساك عن الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النيَّة، بل تجاوز معناه إلى المعنى الحكمي، فقال: وقال بعضهم الصوم ضربان: **صوم حقيقي** وهو ترك المطعم والمشرب والمنكح، و**صوم حكمي** وهو حفظ الجوارح من المعاصي كالسمع والبصر واللسان، والسّائح هو الذي يصوم هذا الصوم دون الأوّل(حقي إسماعيل، 1127: 56/10).

ممَّا سبق، يتبين أنَّ الصوم له منزعٌ قويٌ من أصل كلمة سياحة، وهو ما ذهب إليه بعض الصحابة، وهذا القول لا يعارض أن تكون

السِّياحة مشتملةً على معنًى أعم منه وهو السَّير في الأرض. وعليه، فإنَّ القول بأنَّ السِّياحة هي الصوم لا يُعارض أن يكون معنى السِّياحة في الآية هو السَّير في الأرض.

2/ المجاهدون

ذهب بعض المفسِّرون إلى تفسير السِّياحة في قوله تعالى: ﴿سَائِحَات﴾ بالجهاد.

قال عطاء: السَّائحون هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله(البغوي، 2016: 99/4). ودليلهم حديث النَّبي صلى الله عليه وسلم: «إنَّ سِيَاحَة أمَّتي الجِهَادُ في سَبِيل الله تعالى».

وممَّا سبق، فإنَّه لا تعارض بين القول بأنَّ معنى السِّياحة المذكور في الآيتين الجهاد، وبين من قال أنَّها السَّير في الأرض، إذ الجهاد داخلٌ في معنى السَّير في الأرض.

3/ المهاجرون

قال بعض المفسِّرين في قوله تعالى: ﴿السائحون﴾ وقوله: ﴿سَائِحَات﴾ هم: المهاجرون والمهاجرات، قال الماوردي: قاله عبد الرحمن بن زيد(الماوردي، 2012: 407/2).

قال الطبري: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال، قال ابن زيد، في قوله: ﴿سَائِحَات﴾قال: مهاجرات، ليس في القرآن، ولا في أمَّة محمدٍ سياحةٌ إلاَّ الهجرة، وهي التي قال الله ﴿السَّائحون﴾ (الطبري ابن جرير، 2007: 165/28).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: "لما ابتلي المسلمون خرج أبو بكرٍ مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدّغنة-وهو سيد القارة- فقال: أين تريد يا أبا بكرٍ؟ فقال أبو بكرٍ: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربيِّ، فقال ابن الدَّغنة

: فإنَّ مثلك يا أبا بكرٍ لا يَخرج ولا يُخْرج إنَّك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكَلَّ وتُقري الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جارٌ ارجع واعبد ربَّك ببلدك"(البخاري، 2018: 58/5).

قال ابن حجر: قوله: "فأريد أن أسيح بالمهملتين، لعلَّ أبا بكرٍ طوى عن ابن الدَّغنة تعيين جهة مقصده لكونه كان كافراً، وإلاَّ فقد تقدَّم أنَّه قصد التوجُّه إلى أرض الحبشة، ومن المعلوم أنَّه لا يصل إليها من الطريق التي قصدها حتى يسير في الأرض وحده زماناً فيصدق أنَّه سائحٌ ، لكنَّ حقيقة السَّياحة أن لا يقصد موضعاً بعينه يستقر فيه(العسقلاني ابن حجر، 2017: 233/7). وعليه، فإنَّ السِّياحة هاهنا تعني الهجرة إلى وجهةٍ غير معلومةٍ كون أبي بكرٍ أخفى مقصده ولم يعيّنه.

ومن أعظم من جسَّد هذا اللَّون من السِّياحة الرسل والأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، فكانت سياحة نوح عليه السلام بالفلك ونجاته ومن معه بفضل الله من الطوفان، وكان في سياحة كل رسولٍ نجاةٌ من أعداء الله ودعوة إلى دينه تعالى، كهجرة لوط لقومه وسياحته في الأرض للدعوة إلى دين الله والتفكُّر في آياته، وكذا موسى ﷺ الذي خرج من دياره خائفاً يترقَّب، قال: ربِّ نجِّني من القوم الظالمين، وساح في الأرض تعبُّداً ودعوةً إليه، وإبراهيم الخليل ﷺ ترك زوجه وولده إسماعيل بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيت الله الحرام وساح مهاجراً في سبيل الله، ونبيُّنا محمد صلى الله عليه وسلم خرج من مكَّة مهاجراً ممتثلاً لأمر الله فأسَّس في المدينة أعظم دولةٍ في التاريخ، وكذا أصحابه رضوان الله عليهم هاجروا إلى الحبشة ثم المدينة فساحوا فارّين إلى الله(عبد الباري داود، 1416: 109).

وبالتالي، فإنَّ هذا القول قريبٌ من المعنى العام للسِّياحة، إذ إنَّ الهجرة تستلزم السِّياحة بمعنى السَّير في الأرض، فكل مهاجرٍ لابدَّ أن يسيح في الأرض، فالهجرة عبارةٌ عن انتقالٍ في الأرض من مكانٍ لآخر، فهي بذلك سيُر في الأرض، وممَّا لا يخفى أنَّ السِّياحة أعم من

أن تحصر في الهجرة، لأنَّ التعبير عن الشيء بأحد أفراده سائغ.

4/ المسافرون لطلب العلم

ذهب إلى هذا التفسير كلٌّ من: والخازن، وابن عجيبة، والسعدي، وغيرهم، واستدل الخازن على ذلك بقول عكرمة: "السَّائحون هم طلبة العلم لأنَّهم ينتقلون من بلدٍ إلى بلدٍ في طلبه"(الخازن، 2014: 410/2) ، فهم يرتحلون من أجله، ويشدُّون الرّحال في طلبه ويثنون الرُّكب لدى العلماء للتَّلقي عنهم والاستفادة منهم. وقال القرطبي في تفسيره وقيل: هم الذين يسافرون لطلب الحديث والعلم، قاله: عكرمة(القرطبي، 2013: 270/8).

وقد قصَّ الله علينا سفر موسى إلى مجمع البحرين للتَّزوُّد من العلم الذي يوجد عند من هو أعلم منه(الجبرين عبد الله، 2009: 30). ومن ذلك ما أثر عن الصحابة الكرام أجمعين، من تنقُّلهم في طلب حديثٍ واحد، كارتحال جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس طلباً لحديثٍ واحدٍ لم يسمعه من النَّبي صلى الله عليه وسلم خشية أن يموت هو أو يموت من معه الحديث قبل سماعه منه(الخطيب البغدادي، 1395: 109)، والأمثلة كثيرةٌ على ذلك. وقد كثر النَّقل عن السَّلف في تنقُّلهم، وكثرة أسفارهم للتعلُّم، كما ذُكر عن الخطيب البغدادي حيث غاب عن بغداد نحو أربعين عاماً(الخطيب البغدادي، 1395: 38)، وهكذا فعل ابن منده، وذلك في التَّزوُّد من العلم(ابن جبرين عبد الله، 2009: 29).

وهذا التَّفسير يصرِّح بأنَّ السَّفر من معاني السِّياحة، وبيَّن أحد دوافعها ألا وهو طلب العلم، وهذا التفسير يتَّفق من عدَّة جوانب والقول بأنَّ السِّياحة هي السَّير في الأرض.

5/ السَّير في الأرض

وممَّن صرَّح بأنَّ السِّياحة في الآيتين هي السَّير في الأرض،

ورجَّح هذا القول: أبو مسلم، نقله الرازي في تفسيره؛ حيث قال: "السَّائحون السَّائرون في الأرض، وهو مأخوذ من السَّيح، سَيحُ الماء الجاري"(الفخر الرازي، 2007: 154/16). وأشار إلى هذا الإمام الشوكاني في فتح القدير، قال: والسِّياحة في اللغة أصلها الذهاب على وجه الأرض، كما يسيح الماء: وهي ممَّا يُعين العبد على الطاعة لانقطاعه عن الخلق، ولما يحصل له من الاعتبار بالتفكُّر في مخلوقات الله"(الشوكاني، 1903: 265/2). واختار هذا القول الشرباصي في كتابه: (يسألونك في الدين والحياة)، حيث قال: وتفسير السَّائحين بالمرتحلين والمنتقلين هو التفسير الذي أرتاح إليه في هذا المقام(الشرباصي أحمد، 2008: 364/1).

واستدلوا بحديث جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنَ الدِّينِ وَإِدْبَارٍ مِنَ العِلْمِ، فَلَهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً يَسِيحُهَا فِي الأَرْضِ، اليَوْمُ مِنْهَا كَالسَّنَةِ، وَاليَوْمُ مِنْهَا كَالشَّهْرِ، وَاليَوْمُ مِنْهَا كَالجُمُعَةِ، ثُمَّ سَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ هَذِهِ»(ابن حنبا أحمد، 2009: 210/23).

فكلمة ساح الرجل تعني ضرب، وذهب في الأرض، وتنقَّل وارتحل من مكانٍ لآخر. وعليه، فإنَّ من معاني السِّياحة دلالتها على السَّير في الأرض

2/ السِّياحة في الفقه الإسلامي

ورد ذكر السِّياحة في كتب الفقه الإسلامي بما مفهومه أنَّها انتقالٌ من مكانٍ إلى آخر لغرضٍ دينيٍّ أو دنيوي، ولعل أبين ما يوضح المقصود من السِّياحة أقوال الفقهاء في رخصة السَّفر للسَّائح، من ذلك:

ما جاء في البحر الرائق: "وإنَّما عدل أئمتنا عن الحقيقة إلى المجاز لفرعٍ مجمع عليه، وهو أنَّه لو لم يكن له وطنٌ أصلاً ليرجع إليه؛ بل مستعمر على السِّياحة وجب عليه صومها بهذا النص ولا يتحقَّق في

حقِّه سوى الرجوع عن الأفعال"(ابن نجيم، 2013: 2،/388).

وفي الشرح الكبير لمختصر خليل: "ولا هائمٍ وهو المتجرّد السَّائح في الأرض أي بلد طابت له أقام فيها ما شاء ولا طالب رعي يرتع حيث وجد الكلأ إلاَّ أن يعلم كل منهما قطع المسافة الشرعية قبله؛ أي قبل المحل المقصود للهائم وللراعي أي وقد عزم عليه عند الخروج"(الدردير أبو البركات، 362/1).

وفي حاشية الطحاوي: " ولا يعتبر القصد ما لم يتصل به عمل السفر ولو لم يقصد لا يكون مسافراً ولو طاف الدنيا جميعا، فلو قصد السِّياحة أو ذهب صاحب جيش لطلب عدو أو ذهب لطلب آبقٍ أو غريمٍ ولم يعلم أين يدركه أتم في الذهاب وفي موضع المكث وإن طالت المدَّة، أمَّا في الرجوع فإن كانت مدَّة سفر قصر وإلاَّ لا"(الطحاوي، 2017: 277/1).

وفي المغني: "أو سائحاً في الأرض لا يقصد مكاناً لم يبح له القصر، وإن سار أيَّاما"(ابن قدامة المقدسي، 2011: 49/2).

وفي الإنصاف: "لا يقصر سائحٌ ولا هائمٌ لا يقصد مكاناً معيَّنا"(البهوتي، 1902: 506/1).

وفي كشَّاف القناع: "ولا (أي رخص السَّفر) لتائهٍ ضال الطريق ولا لسائحٍ لا يقصد مكاناً معيَّناً، لأنَّ السَّفر إذا ليس بمباح، والسِّياحة لغير موضعٍ معيَّنٍ مكروهة". وفيه أيضا: "ولا يسقط الاستقبال (أي استقبال القبلة) إذا لم يقصد المسافر جهةً معيَّنةً كراكب تعاسيف وهو ركوب الفلاة وقطعها صوب ومنه الهائم والتَّائه والسَّائح"(البهوتي، 1902: 302/1).

وعليه، يمكن تعريف السِّياحة عند الفقهاء بأنَّها: الخروج منفرداً غير قاصدٍ مكاناً محدَّدا.

ممَّا سبق، يتبيَّن أنَّ لفظ السِّياحة في نصوص الشرع تطلق ويراد بها الأمور الشَّرعيَّة التي يتحقَّق فيها المعنى اللغوي، وهو السَّير في الأرض، سواء كان ذلك على سبيل الحقيقة أو المجاز، فالعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة. يقول هاشم ناقور: "إنَّ المعنى الظاهر في قوله: ﴿السّائحون﴾ مرادٌ، بدليل بيانه أنَّ السِّياحة الجهاد في سبيل الله، وهذا داخلٌ في المعنى اللغوي، وهو مطلق الذهاب على وجه الأرض، كما يسيح الماء، وأمَّا المعنى المجازي فقد ورد ما يدل على إرادته، وهي جملة الآثار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن السَّلف في تفسير السِّياحة بالصيام، والتي تدل بمجموعها على صحَّة هذا التأويل، وليس بعده كما يقول بعضهم، ولكن لا يدل ذلك على منع المعنى الحقيقي، إنَّما يحمل ذلك على أنَّ تأويل السِّياحة بالصيام هو أحد معانيها، بدليل بيانه صلى الله عليه وسلم مرةً أنَّ السِّياحة هي الجهاد ثم أخرى بأنَّها الصيام" (ناقور هاشم، 2017: 39). وأقوال السَّلف كلُّها تدور في هذا الفلك، إمَّا مجازاً كالصيام، والجولان بالفكر في توحيد الله سبحانه، وهو ما عبَّر عنه ابن القيِّم بالسِّياحة القلبيَّة، وإمَّا حقيقةً مثل الجهاد في سبيل الله، والهجرة، والسَّفر لطلب العلم والحج والعمرة، فهذا كلُّه سيرٌ في الأرض على وجهٍ خاصٍ، تجتمع فيه الأقوال فيكون اختلاف تنوُّعٍ لا تضاد، وهذا ما رجَّحه السَّعدي، حيث حمل السِّياحة على السَّفر في القربات فيدخل فيها كل ما تقدَّم(السعدي، عبد الرحمن، 1977: 353).

المبحث الثاني: السِّياحة جسر لتعارف الحضارات وحوارها

أولاً: فلسفة الحوار في القرآن الكريم

السِّياحة تولد التعارف ومن ثم الحوار، بحيث يفهم كلٌّ واحدٍ منَّا الآخر، وبالتالي يحدث التقارب؛ وهذا المنهج موجودٌ في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾(سورة النحل: 125)، وقوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (سورة الشورى: 38). وهو منهجٌ يعلي من

قيمة الدور الإنسانيّ بممارسة مهمته في صياغة العقل الجمعيّ، ويرتقي بالإنسان إلى مستوى الحوار الذي تتولد من خلاله دوائر التغيير والبناء، وإلاَّ فسيسقط في متاهات الجدل مؤثراً انعدام التغيير والغرق في الفراغ (فضل الله محمد، 2004: 141).

ومن المعلوم أنَّ الدين الإسلامي رفض الجمود أمام تراث الإنسانيَّة، والانكماش على النفس، ولكن أقرَّ التواصل معه وفتح باب الحوار والأخذ منه، بما يتوافق مع الشريعة، ورفض؛ بل عارض ما يتعارض معها. فالإسلام على الرغم من تأكيده على أنَّ الناس جميعاً قد خلقوا من نفسٍ واحدةٍ، إلاَّ أنَّه في الوقت نفسه لم ينكر واقع الاختلاف بين البشر. فالناس في الواقع مختلفون فيما بينهم في أشكالهم، ولغاتهم وأجناسهم، ومن ثم في ثقافاتهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (سورة هود: 118).

فالاختلاف والتنوُّع بين الناس والأمم في الكون والمجتمع قاعدةٌ إلهيَّةٌ، فقد خلق الله بحكمته وعلمه الناس والأمم ليتعارفوا، فجاء خلقنا بهذا التنوُّع من أجل الغنى والتبادل بين الشعوب، ولكنَّ هذا لا يعني التخلي عن هويَّة شعبٍ أو الاصطباغ بلغةٍ وثقافةٍ أخرى على حساب الهويَّة، فشعوب الأرض تستمد جمالها من تعدُّد حضارتها.

ومن جانب آخر يرى الإسلام أنَّ تعدُّدية الأجناس أو المجتمعات البشرية، لا يجوز أن تكون عائقاً أمام توحيد الناس وتآلفهم وتعاونهم فيما بينهم، ولهذا يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات: 13). وهذه دعوةٌ إلى الحوار والتواصل بين الأنا والآخر، والذي يبدأ بالتعارف، والتعارف هو شكلٌ من أشكال الحوار، أو هو الباب الحقيقي للحوار، والذي تعدُّ السِّياحة من أهم وسائل تحقيقه. فبدون معرفتي بالآخر لن أستطيع أن أبدأ معه حواراً مثمراً، كما أنَّ من أهميته تمهيد الطريق أمام المرء لبدء حوارٍ مع الآخر، ولهذا فالحوار يعدُّ ضرورةً حياتيَّةٍ للجنس البشري كلّه(زقزوق محمد،

2000: 24). ولن يتحقق ذلك إلاَّ إذا تم التواصل معه عن طريق رافدٍ مهم ألا وهو السِّياحة.

ثانيا: موقف الدين من السِّياحة في التعارف على الآخر

ولم يكن الآخر في القرآن الكريم والسنة الشريفة مشروع استئصالٍ أو إقصاءٍ، فهذا الآخر في القرآن الكريم هو تلاحمٌ بشريٌّ يتمُّ من خلاله تبادل التجربة البشرية وتعميقها، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات: 13). وقوله آل عمران: 64). وهذه النظرة تكشف عن نزعةٍ أصيلةٍ للتواصل مع الآخر، وليس نزعة استئصاله أو إقصائه، هناك "آخر" ينبغي أن نمدَّ معه جسور الحوار الفكري، و"الآخر" مشروع حوارٍ وليس مشروع حربٍ، والحوار يقوم على الاعتراف بالآخر لا بوصفه قيمة عابرة؛ بل قيمة أصيلة؛ وبالتالي القبول به وجوداً ورأيًا، وقد ذم القرآن الكريم منهجية الانغلاق الفكري، ودعا إلى الانفتاح والتسامح، بأن لا يجعل المرء نفسه أمام اتجاهٍ واحدٍ لأنَّ ذلك سيجعله منعزلاً عن تطورات الفكر والمعرفة، فيكون حظُّه الحرمان من إدراك حقائق ومعارف مفيدة، ولن تتحقَّق هذه القيمة إلاَّ إذا فُتح باب السِّياحة، وأولي اهتماماً يليق بالمهمَّة المنوطة به.

والحاجة إلى السِّياحة بغية الانفتاح والحوار مع الغرب في عصرنا تعدُّ أكثر أهميَّةً وإلحاحاً من أيِّ وقتٍ مضى، نظراً لأنَّ العالم اليوم تقاربت فيه الثقافات وتفاعلت، وتشابكت فيه المصالح أكثر من أي وقتٍ مضى، خاصَّةً وأنَّ العالم يعيش الآن في ظل ما يسمى بالقرية الكونية، بعد ثورة المعلومات والاتصالات والثورة التكنولوجية، ممَّا قضى على فكرة الجزر المنعزلة، فلم يعد بإمكان أيِّ شعبٍ من الشعوب أن يعزل نفسه عمَّا يدور في هذا العالم، ومن هنا فلم يعد هناك مفرٌ من السِّياحة للوصول إلى فكرة التعايش والاتصال والانفتاح، والحوار السلميّ بين الأمم والشعوب، خاصةً شعوبنا الناميَّة مع شعوب العالم

المتقدم، وإلاَّ سنغطُّ في سباتٍ عميقٍ ولكنَّ هذا يحتاج أيضاً منَّا إلى تفعيل السِّياحة بين البلدان العربية والانفتاح والتواصل على بعضنا قبل الانفتاح على الغرب، لكي نوجِّد موقفنا، ونحدِّد ما نحتاجه من الغرب، وما يحتاجه الغرب منَّا(الصاوي أحمد، 1423: 667).

ثالثاً: السِّياحة الدينية في العالم العربي والإسلامي

أقل ما يمكن أن يقال في حق السِّياحة في العالم العربي والإسلامي، أنَّ هناك جهلاً في العالم الغربي بمعالمها الحضاريَّة والثقافيَّة، وهذا راجعٌ إلى تقصير البلاد العربية في استثمار مناطقها السياحيَّة، حتى فيما يخصُّ السياحة الداخليَّة أحيانًا، فكثيرٌ من المعالم الإسلاميَّة تُعاني من الإهمال، وعلى سبيل المثال فإنَّ مسجد أولو ديفري الذي بناه السلاجقة في تركيا على الرغم من أنَّه مسجَّلٌ في قائمة الآثار العالميَّة في منظمة اليونسكو، فإنَّه يُعاني من التشقُّقَات والإهمال، هذا مع أنَّه يتميَّز ببعض السمات الفريدة؛ إذ بُنِي الباب الغربي فيه بطريقةٍ تجعل الظلَّ المتشكِّل من سقوط أشعة الشمس عليه تكون على هيئة رجلٍ يقرأ القرآن، يتشكَّل هذا الظلُّ قبل صلاة العصر من كلِّ يوم، ولمدَّة ربع ساعة طوال فصل الصيف، والمسجد هو في الأساس مسجدٌ ومستشفى للأمراض العقليَّة، ومن العجيب أنَّ زخارفه الكثيرة جدًّا صُمِّمَتْ بطريقةٍ تُداعب الخيال البصري، فمن بَعِيدٍ تشعر أنَّ الزخارف متناظرة، حتى إذا دقَّقتَ فيها وجدتَ أنَّه لا تُوجد زخرفةٌ تُشبه الأخرى في كلِّ المسجد(تقرير: تقرير الجزيرة نت بتاريخ 2009/9/7).

وأسوأ من هذا حالًا المدرسة العامريَّة في اليمن التي بناها السلطان عامر الطاهري عام 910هـ، تُمَثِّل مَعْلَمًا مهمًّا جمع في فنونه المعماريَّة بين الطراز العثماني والمغربي والفارسي، وكانت المدرسة معلمًا حضاريًّا ومركز إشعاعٍ دينيٍّ وثقافي، وكانت مقرَّ حكم السلطان عامر، وعلى الرغم من هذا التاريخ والتأثير ظلَّ هذا الأثر قرونًا يُعاني من التجاهل، حتى اكتُشف في عام 1983م، فبدأت أعمال ترميم استغرقت 22 عامًا، وانتهت في 2005م، ثُمَّ فازت بجائزة مؤسَّسة الأغاخان العالميَّة في

العمارة الإسلاميَّة(تقرير: جريدة المؤتمر اليمنية 2005/6/20). مثل هذه المعالم الفريدة والمجهولة للعالم؛ تُسهم إذا أُحسن استغلالها في حركة النشاط السّياحي التي تُمَثِّل بدورها أسلوبًا ممتازًا للتعارف بين البشر متعدِّدِي الثقافات والحضارات والأذواق، فيُشاهدوا نمطًا آخر من السياقات والخصوصيَّات الحضاريَّة والتاريخيَّة. والنشاط السِّياحي من شأنه أن يعمل على تنميَّة التفاهم بين الشعوب، وتبادل المعارف، والقيم الثَّقافيَّة، وفي ذلك خلقٌ لروح الوحدة بين المجتمعات، إضافةً إلى التمكُّن من معرفة ماضي الشعوب وتاريخها وحماية التراث التاريخي والحضاري للشعوب، ممَّا يزيد من حركة الاتِّصال فيما بينها، فالسِّياحة تحفِّز الدول على :

-الحفاظ على الموروثات التَّاريخيَّة والثَّقافيَّة والأنماط المعماريَّة المعاصرة المميزة.

-إحياء الفنون والمناسبات التقليديَّة والصِّناعات التقليديَّة وبعض مظاهر الحياة المحليَّة.

-تساعد العائدات السِّياحيَّة مختلف المتاحف والمرافق الثَّقافيَّة المختلفة مثل: المسارح، وتنظيم المهرجانات والمناسبات الثَّقافيَّة، كونها عناصر جذب للسِّياحة الداخليَّة والخارجيَّة (كافي مصطفى، 166).

والواقع يثبت أنَّ الكثير من السُّياح الأجانب الذين زاروا بعض المعالم السيَّاحية الدينية في البلاد العربية قد أسلموا، ومن لم يسلم منهم نجده قد غيَّر نظرته للإسلام وحضارته ومسلميه، من تلك النماذج نذكر(السرجاني راغب، 2018):

-تحكي ليلى قنديل -النقيبة السابقة للمرشدين السياحيّين بمصر- عن أستاذٍ جامعيٍّ بلجيكي أسلم بعد زيارةٍ قام بها إلى مساجد القاهرة، وحصوله على نسخةٍ مترجمةٍ لمعاني القرآن الكريم(منشور في موقع إسلام ويب: 2002/6/10).

- وإسلام سائحةٍ كنديَّةٍ بعد مشاهدتها لعمَّالٍ مسلمين في الفندق

السعودي يُصَلُّون، حيث أثار هذا المشهد فضولها المعرفي فقرأت حتى أسلمت (جريدة الرياض السعودية 2008/12/5).

ومن أهمُّ الكتب التي صنفها غير المسلمين، كانت بعد سياحةٍ ومشاهداتٍ في العالم الإسلامي، ومعايشةٍ للشعوب المسلمة، من أشهر هؤلاء:

- محمَّد أسد (ليوبولد فايس سابقًا) بعد حياةٍ في جزيرة العرب ثُمَّ في المغرب العربي، فأسلم ثُمَّ كتب (الطريق إلى مكَّة) و(الإسلام على مفترق الطرق).

- ومراد هوفمان السفير الألماني في المغرب وغيره من البلاد الإسلاميَّة أسلم -أيضًا- وكتب: (الإسلام كبديل) و(الرحلة إلى مكَّة) وغيرها.

ومنهم مَنْ لَمْ يُسلم، لكنَّه لَمَّا تعارف وتعايش في البيئة الإسلاميَّة اكتسب نظرةً مختلفةً لما كان يروِّجه الغرب الحاقد؛ منهم:

- رونالد فيكتور بودلي الذي تأثَّر بحياة البدويّين وكتب (الرسول، حياة محمَّد).

- والكاتبة البريطانيَّة الشهيرة كارين أرمسترونج التي زارت المغرب، وبعد زيارتها لسمرقند ومشاهدتها لروحانيَّات المباني الإسلاميَّة في آسيا الوسطى، تغيَّرت نظرتها إلى المسلمين، لتكتب بعدها، كتابها الشهير(محمد نبيٌّ لزماننا).

والنماذج كثيرة جدًّا لا يستوعبها المقام، لكنَّ الشاهد هو أنَّ السِّياحة كانت البداية للتعارف على الإسلام وحضارته وأبنائه، وعلى الرغم من أنَّ العالم العربي -وخاصَّة قلبه الشرقي- كان أرض النبوَّات والأديان، كما كان أرض التاريخ العريق وأرض الحضارات الأولى في التاريخ البشري المعروف، وهو ما يعني امتلاءها بالمشاهد والمزارات والمعالم التي تستهوي الناس من مختلف مناطق العالم، إلَّا أنَّ الواقع لا يُؤَيِّد هذا الافتراض. فحصَّة السِّياحة لهذه المنطقة بلغت في عام 2001م

ما يُمَثِّل 3% من حركة السِّياحة العالميَّة(الرفاعي طالب: 175)، فنحن نملك تاريخاً وحضارةً عريقين، لكن من يُقدر هذا الميراث ويستثمره من بني جلدته، للأسف لا أحد؟!.

المبحث الثالث: مقاصد السِّياحة الدينية والدنيوية في تعارفها مع الحضارات

فمن المقاصد الدينيَّة والدنيويَّة ما يستفاد بالاستعانة بالغير، ولا يحصل ذلك إلاَّ بالمخالطة، "وقد تكلَّم العلماء عن فوائد المخالطة وآفات العزلة وذكروا من الفوائد: التعليم والتعلُّم، والنَّفع والانتفاع، والتَّأديب والتأدُّب، والاستيناس والإيناس، ونيل الثواب وإنالته، في القيام بالحقوق واستفادة التَّجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها"(الغزالي محمد، 2016: 236/2)، والتَّعارف بين الشُّعوب والأمم لا يتم إلاَّ بالمعاشرة والخلطة والتَّقارب، والسِّياحة وسيلةٌ لذلك وطريقٌ لتحقيقه، وهي ممَّا رغَّب فيه الشرع وندب إليه إذا روعيت فيه الضَّوابط الشرعيَّة. وبالتالي فإنَّه لا يخفى ما للسِّياحة في الإسلام من أهميَّةٍ تنبع من مقاصدها السَّامية والتي يمكن إيجازها فيما يأتي(شحاتة حسين، 2016: 7):

أولا: السِّياحة للعبادة

تعدُّ السِّياحة من موجبات أداء الفرائض والواجبات الإسلاميَّة، ومنها الحج، فعلى سبيل المثال يسيح المسلمون من جميع بقاع العالم إلى البلاد المقدَّسة المباركة للحج ليشهدوا منافع لهم، وهذا يعتبر من أصول السِّياحة في الإسلام(شحاتة حسين، 2016: 8). لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(آل عمران: 97)، وقوله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِد: المسْجِدُ الحَرَامُ ومَسْجِدِي هَذَا والمسْجِدُ الأقْصَى»(البخاري،2018: 60/2).

ثانيا: السِّياحة للتدبُّر في آيات الله

تعدُّ السِّياحة وسيلةً من وسائل التَّربية العقديّة الروحيَّة من خلال السَّفر والخلوة والتأمُّل في خلق السموات والأرض، وما خلق الله سبحانه من عجائب، يجعل السَّائح يستحضر عظمة الله بأنَّه الخالق المبدئ، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾(سورة آل عمران: 190،191).

ثالثا: السِّياحة للدَّعوة إلى الله

الإسلام دينٌ عالميٌّ لجميع الخلائق، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: 107)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(سورة الأعراف:158). ومن هنا جاء ترغيبه سبحانه لعباده في القيام بمسؤوليَّة الدَّعوة إلى هذا الدين في قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل: 125)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(سورة يوسف:108).

وإذا تطلَّب ذلك قيام الدُّعاة بالسِّياحة إلى مواقع المدعوّين وأماكنهم، فإنَّ السِّياحة بدافع الوصول إليهم وتبليغهم ودعوتهم تصبح من المسؤوليَّات المناطة بهم(الأحمد علي: 153)، لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ (سورة فصلت:33)، اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ساح إلى مدينة الطَّائف للدَّعوة إلى دين الله تعالى، وقد وردت رواياتٌ تصوّره صلى الله عليه وسلم وهو قائمٌ بالدَّعوة في سياحته للطَّائف؛ فقد روى الإمام أحمد بسنده عن خالد العدواني أنَّه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشرق ثقيف

وهو قائمٌ على قوسٍ أو عصاً حين أتاهم يبتغي عندهم النَّصر، قال فسمعته يقرأ: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) ﴾، حتَّى ختمها، قال فوعيتها في الجاهليَّة وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام، قال فدعتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنَّا نعلم ما يقول حقًّا لتبعناه(ابن حنبل أحمد، 288/31).

وسياحته صلى الله عليه وسلم إلى منازل العرب، حيث كان يسعى إلى قبائل العرب في منازلهم، فإذا رأى قوماً وقف عليهم ودعاهم لعبادة الله وحده، وقد ذكر ابن إسحاق بإسناده أنَّ ربيعة بن عبّاد قال: «إنّي لمع أبي رجلٌ شابٌ أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على تتبُّع القبائل من العرب فيقول: « يَا بَنِي فُلاَن، إنّي رَسُولُ الله إلَيْكُم، آمُرُكُم أن تَعْبُدُوا الله ولاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وأنْ تصدِّقوني وتَمنعُوني حتَّى أنفذ عن الله مَا بَعَثَنِي به» (ابن حنبل أحمد، 407/25).

وأيضاً سياحته صلى الله عليه وسلم إلى الأسواق للدَّعوة إلى الله، يقول الإمام القرطبي: "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الأسواق لحاجته ولتذكرة الخلق بأمر الله، ويعرض نفسه فيها على القبائل لعلّ أن يرجع بهم إلى الحق"(القرطبي، 4721/7). وإرساله صلى لله عليه وسلم لسفراء الإسلام لدعوة الناس للإسلام.

وقد ذُ كر أنّ ذا القرنين كان يجوب البلاد يدعو العباد إلى الله، حيث أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: ذو القرنين بلغ السدَّين وكان نذيراً (السيوطي، 2015: 436/5).

فالسِّياحة توفِّر فرصةً ثمينةً للقيام بالدَّعوة الإسلاميَّة في البلد الذي يُساح فيه، إذا كان السَّائح من أهل العلم والبصيرة، قادرٌ على إظهار دينه، آمنٌ من الوقوع فيما هم عليه من الشرك والمعاصي؛ بل إنَّه يقع على عاتق حكومات الدول الإسلاميَّة إرسال الرسل إلى الأمصار للدَّعوة إلى الله ونشر الإسلام، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم

الأسوة الحسنة- فقد أرسل رسله إلى بني سعد بن بكر- (زواوي أحمد، 365/1).

والسِّياحة وسيلةٌ من أهم الوسائل التي اعتمدها سفراء الإسلام الأوائل الذين أرسلهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العالم لدعوة الناس إلى الإسلام. وتعدُّ المراكز والهيئات والاتِّحادات والمؤسَّسات الإسلاميَّة العالميَّة من نماذج سفراء الإسلام في العالم لتبليغ الدَّعوة إلى الله.

رابعا: السِّياحة لطلب العلم

ينبثق طلب العلم من السِّياحة الثَّقافيَّة(حاتم محمد: 45)، فلو أخذنا بقول بعض المفسِّرين في تفسيرهم لقوله تعالى: (**السَّائحون**)، بالمسافرين لطلب العلم، فتصبح السِّياحة التعليمية والتثقيفية مندوبةً، لدخول طلب العلم ضمن الصِّفات التي مدحها الله في المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (سورة التوبة: 122). وقوله صلى الله عليه وسلم: «ومَن سَلَكَ طرِيقاً يَلْتَمِسُ فيه عِلْماً سَهَّلَ الله لَهُ بِهِ طَرِيقًا إلَى الجَنَّة»(مسلم بن الحجاج، 1994: 2074/4).

ومن هنا قال العلماء: من لم يكن له رِحْلة لا يكون رُحْلَة، أي: من لم يرحل في طلب العلم للبحث عن الشُّيوخ، والسِّياحة في الأخذ عنهم، فيبعد تأهُّله ليُرْحَل إليه(أبو زيد، بكر، 1429: 174). وقد قصَّ القرآن علينا سياحة سيدنا موسى إلى مجمع البحرين للتزوُّد من العلم عند من هو أعلم منه، حيث قال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾(سورة الكهف: 66). قال الحافظ ابن حجر: وموسى عليه السلام لم يمنعه بلوغه من السِّيادة المحل الأعلى من طلب العلم وركوب البحر لأجله (ابن حجر العسقلاني، 2017: 202/1)، فطلبه العلم كان بقصد

الاستكثار منه. وقد كثر النَّقل عن السَّلف في تنقُّلهم، وكثرة أسفارهم للتعلُّم، كما ذكر عن الخطيب البغدادي حيث غاب عن بغداد نحو أربعين عاماً، وهكذا فعل ابن منده، وذلك في التزوُّد من العلم (ابن جبرين: 29).

ومع توفُّر وسائل الاتِّصال الحديثة والتَّقنيَّة المتطوّرة في عصرنا الحاضر وإسهامها في نقل العلم، إلاَّ أنَّها لا تغني عن السِّياحة العلميَّة نظراً للفوائد الجمَّة التي يجنيها السَّائح من سياحته، منها: التَّمكُّن من الجوانب العلميَّة، فالبيئة إذا تغيَّرت حرَّرته من سيطرة المألوفات فيتَّسع فهمه وإدراكه، وكذلك نشر ما حصَّله من العلوم، واتِّساع ثقافته العامَّة لاحتكاكه بالناس واطِّلاعه على مختلف عاداتهم وثقافاتهم، فيكون صاحب خبراتٍ وتجارب وإلمامٍ بالأحكام وحسن تنزيلٍ لها على مختلف الوقائع والأشخاص" (الأحمد علي، 2001: 200).

خامسا: السِّياحة للتِّجارة

كان للسِّياحة التِّجاريَّة الدور الهام في نشر الإسلام في دول شرق آسيا وإفريقيا بواسطة التُّجار المسلمين، فكان مع التاجر المسلم عقيدته وأخلاقه وسلوكه المستقيم، وكذلك كان معه بضاعته، وكان ذلك من أهم أساليب نشر الفكر التِّجاري الإسلامي، وبيان الضوابط الشَّرعيَّة للمعاملات التِّجاريَّة وإبراز شموليَّة الإسلام، ولقد أشار القرآن إلى ذلك فقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(سورة النساء:100).

الخاتمة:

اختلف أهل العلم من مفسِّرين ومحدِّثين في مدلول لفظ السِّياحة في النصوص الشَّرعيَّة على

معانٍ عدَّة كما تقدَّم، فتبيَّن لنا أنَّ السِّياحة ذكرت في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

موضع لم يختلف في أنَّ المراد به السَّير في الأرض وهو قوله تعالى:

(فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ).

وموضعين ذكرت فيهما السِّياحة في معرض الثَّناء على المؤمنين، وهما: قوله تعالى:(التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) ، وقوله تعالى: (مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا).

أمَّا ورود "السِّياحة" في السنة الشَّريفة فإنَّ المعنى على مراده الظاهر الذي يدل عليه السِّياق.

وأمَّا ورود السّياحة في كتب الفقه الإسلامي، فإنَّ المعنى لا ينفك أن يكون "الخروج منفرداً غير قاصدٍ مكاناً محدَّدا".

يعدُّ التَّبادل الثَّقافي أحد أهم التأثيرات الإيجابيَّة للسِّياحة، حيث تعمل على تنميَّة التفاهم بين الشعوب، وتبادل المعارف، والقيم الثَّقافيَّة، ما يخلق روح الوحدة بين المجتمعات، فهي تساعد في مدِّ جسور التعارف مع الحضارات الأخرى، وهذا المنهج موجودٌ في القرآن الكريم، فهو منهجٌ يعلي من قيمة الدور الإنسانيّ، ويرتقي بالإنسان إلى مستوى الحوار الذي تتولد من خلاله دوائر التغيير والبناء.

أنَّ الدين الإسلامي رفض والانكماش على النفس، من خلال فتحه باب الحوار مع الحضارات وهو في الوقت نفسه لم ينكر واقع الاختلاف بين البشر. فالناس في الواقع مختلفون فيما بينهم في أشكالهم، ولغاتهم وأجناسهم، ومن ثم في ثقافاتهم، وهذا الاختلاف هو مدعاة التعارف والتآلف والتعاون بين الشعوب، وفي ذلك دعوةٌ للحوار الذي تكون بدايته التعارف من خلال أهم وسلةٍ وهي السِّياحة.

تُعدُّ الحاجة إلى السِّياحة بغية الانفتاح والحوار مع الغرب في عصرنا أكثر أهميَّةً وإلحاحاً من أيّ وقتٍ مضى، نظراً لأنَّ العالم اليوم تقاربت فيه الثقافات وتفاعلت، وتشابكت فيه المصالح أكثر من أي وقتٍ مضى.

رغم ما تحتويه البلاد العربية الإسلامية من معالم حضاريةٍ فريدة، تجعلها قبلة السِّياحة العالمية، إلاَّ أنَّ الإهمال والتخريب لهذه المعالم جعلها مجهولةً لدى السِّياحة العالمية، وبالتالي فقدان موردٍ اقتصاديٍّ مهمٌ جداً، ولو أُحسن استغلالها في حركة النشاط السّياحي للعبت دوراً هامًّا للتعارف بين البشر متعدِّدِي الثقافات والحضارات.

للسِّياحة مقاصد دينيَّة وأخرى دنيويَّة تستفاد بالاستعانة بالغير، ولا يحصل ذلك إلاَّ بالمعاشرة والخلطة والتَّقارب، والسِّياحة وسيلةٌ لذلك وطريقٌ لتحقيقه، وهي ممَّا رغَّب فيه الشرع وندب إليه إذا روعيت فيه الضَّوابط الشرعيَّة.

المراجع:

- الأحمد، علي بن أحمد (2007)، السِّياحة ومعالم الدعوة إلى الله تعالى في المواقع السِّياحية، - دراسة شرعيَّة تأصيليَّة، ط1، الرياض، مكتبة الرشد.

-ابن الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي(2001)، تهذيب اللغة، (تح: محمد عوض مرعب، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

-البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي(1422)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة.

-البغوي، أبومحمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (1997)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع.

-البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (2003)، (السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية.

-الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (1419)، فقه اللغة وأسرار العربيَّة، ط1، بيروت، المكتبة العصريَّة.

-الجبرين، عبد الله بن عبد الرحمن (2009)، أحكام السِّياحة ونصائح وتوجيهات

للسَّائحين والسَّائحات، أعدها للنشر، سليمان بن صالح الخراشي، (دون معلومات نشر).
-الحافظ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1419)، تفسير القرآن العظيم، (تح: محمد حسين شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلميَّة.
-الحربي، عاتق بن غيث بن صالح البلادي (1402)، معجم المعالم الجغرافيَّة في السيرة النَّبويَّة، ط1، مكة المكرمة، دار مكَّة للنشر والتوزيع.
-حقي، إسماعيل بن مصطفى (د.ت)، روح البيان في تفسير القرآن، ط1، بيروت، دار الفكر.
-ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (1995)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: أحمد محمد شاكر، ط1، القاهرة، دار الحديث.
-الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي (2004)، لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، (تح : عبد السلام محمد شاهين، ط1، بيروت، دار الكتب العلميَّة.
-الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (1395)، الرحلة في طلب الحديث، تح: نور الدين عتر، ط1، بيروت، دار الكتب العلميَّة.
-الدردير، أبو البركات سيدي أحمد، الشرح الكبير على مختصر خليل، تح: محمد عليش، بيروت، دار الفكر.
-ذو الرمَّة، (1324)، ديوان ذي الرمَّة بشرح الخطيب التبريزي، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي.
-ناقور، هاشم،(1324)، أحكام السِّياحة وآثارها دراسة شرعيَّة مقارنة، ط1، الرياض، دار ابن الجوزي.
- زقزوق، محمد حمدي(2000)، الإسلام وحوار الحضارات، مؤتمر كلية دار العلوم للفلسفة الإسلامية.
- زواوي، أحمد بن عبد الفتاح، شمائل الرسول، الإسكندرية، دار القمة.
-ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن أبي قاسم بن الحسين (2002) ، تفسير القرآن، ط1، بيروت، دار ابن حزم.
-الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت1205ه)، تاج

العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
-أبو زيد، بكر بن عبد الله بن محمد (1416)، حلية طالب العلم، ط1، الرياض، دار العاصمة للنشر والتوزيع.
-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (1972)، الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط1، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البادي الحلبي وأولاده.
-السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (1993)، بحر العلوم، (تح: علي محمد عوض وآخرون، ط1، بيروت، دار الكتب العلميَّة.
-الشرباصي، أحمد (2008)، يسألونك في الدين والحياة، ط1، دار الجيل، بيروت.
-الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (1414)، فتح القدير، ط1، دمشق، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.
- الصاوي، أحمد (2002)، الأنا والآخر عند رفاعة الطهطاوي، ضمن كتاب: الإسلام والغرب حوار أم صراع، كتاب المؤتمر السابع للفلسفة الإسلامية، 7-8 صفر 21-22 أبريل، كلية دار العلوم، قسم الفلسفة الإسلامية، جامعة القاهرة، أشرف على إعداده: محمد السيد الجليند.
- عياض، أبو الفضل، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505ه)، إحياء، علوم الدين، ط1، بيروت، دار المعرفة.
- فضل الله، محمد صادق(2004)، إرهاصات نقدية، ط1، بيروت، دار الأمير.
-ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (1999)، معجم مقاييس اللغة وأسرار العربية، تح: عبد السلام هارون، ط2، بيروت، دار الجيل.
-الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين(1411)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ط1، بيروت، دار الكتب العلميَّة.
-الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو (2003)، معجم العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (1409)، تنوير المقباس من تفسير ابن عبَّاس، ط1، بيروت، دار الإشراق.

-القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (1418)، محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

-القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج (2004)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ط2، بيروت، دار الكتب العلميَّة.

-الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب (1992)، النكت والعيون، ط1، بيروت، دار الكتب العلميَّة.

-المعري، أبو العلاء (1416)، ديوان اللُّزوميَّات (لزوم ما لا يلزم)، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي.

-ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن واضح الحنظلي التركي ثم المرْوزي (1972)، الجهاد لابن المبارك، تح: نزيه حماد، ط1، تونس، الدار التونسية.

-ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على (1414)، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر.

-الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (1994)، (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،، تح: حسام الدين القدسي،ط1، القاهرة، مكتبة القدسي.